أماراباك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 11، العدد 38 (2020). ص ص 154-169

الدلالات الدينية والفلسفية لفكرة موت الإله عند نيتشه

قـايـد سليمة[1]

<u>الملخص</u>: يعتبر نيتشه أحد أشهر الفلاسفة الملحدين في الفلسفة المعاصرة، وقد عبّر عن إلحاده هذا بعبارته الشهيرة: "لقد مات الإله"، ومهما تبدو لنا هذه العبارة بسيطة في الظاهر، إلا أنها عميقة جدا وعويصة جدا على الفهم، لهذا فإننا عندما نأتي إلى تفسيرها سنجد أنه بإمكاننا تأويلها بطرق جد متنوعة، بل وجد متباينة فيما بينها، لأن هذه العبارة تحمل في طياتها الكثير من الدلالات بعضها ديني وبعضها الآخر فلسفي، وفيما يتعلق بدلالاتها الدينية، فإن عبارة موت الإله تعني موت الإله المسيحي، ومعه الدين المسيحي، بل وكل دين على الإطلاق. أما دلالاتها الفلسفية فهي كثيرة جدا، لكننا سنتطرق إلى أهمها فقط وهي ثلاث، والتي تتمثل في أن موت الإله يعني أولا موت العالم الميتافيزيقي التقليدي، ومعه الأنطولوجيا التقليدية، ثانيا موت جميع الفلسفات العقلانية والمثالية التقليدية، وأخيرا موت كل الأخلاق التقليدية، وفي مقدمتها الأخلاق المسيحية. وهذه الدلالات المختلفة هي التي ستمكن نيتشه من تحقيق مشروعه الفلسفي الكبير، المتمثل في القلب الشامل والجذري لكل القيم.

<u>الكلمات المفتاحية</u>: موت الإله، قلب القيم، العالم الميتافيزيقي، القيم، التقويم، الانحطاط، الحياة، إرادة القوة، الغريزة، المذهب اللا عقلاني، المذهب اللا أخلاقي.

Religious and philosophical connotations of Nietzsche' idea of the death of God

Gaid Salima

<u>Abstract</u>: Nietzsche is a well know Atheist philosopher in contemporary philosophy. He expressed his position through his famous expression: «God has died», though, simple at the surface, is very deep and complicated. In fact, it can be interpreted in different, diverse, and even contrasting ways. Indeed, it bears many connotations; religious and philosophical. With regard to the religious ones, the term deity's means the death of the Christian God, with it the Christian religion, and all religion. Its philosophical implications are, as well, many, but we will address only the most important of them, which are three; the death of God means first the death of traditional metaphysical world, and with it the death of the traditional ontology, secondly the death of all traditional, rational and idealistic philosophies. Finally, the death of all morals; the forefont of christian ethics. Those different connotations have enabled Nietzsche to realize his great philosophical project ; the comprehensive and radical overthow of all values.

<u>Keywords</u>: Death of God, overthrow of values, metaphysical world, values, valuation, decadence, life, will of power, instincts, vital utility, irrationalism, immoralism.

[1] دكتورة في الفلسفة، تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة، أستاذة محاضرة –صنف أ- بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة. البلد الجزائر، salima.gaid@gmail.com

مقدمة:

من أهم سمات الفلسفة الغربية المعاصرة، أنها شهدت حركة إلحادية قوية وعنيفة بين كبار فلاسفتها مثل فيورباخ، ماركس، هيدجر، سارتر، كامو، وبكل تأكيد نيتشه الذي يعد من أشهر الملاحدة المعاصرين. وقد عبّر نيتشه عن إلحاده هذا بعبارته الشهيرة: "لقد مات الإله" (Nietzsche,2011, Livre5, Art 343, P302) والتي أضاف إليها عبارة أخرى لا تقل شهرة عنها، وهي "ونحن كلنا قتلته". (Nietzsche, Livre2, Art125, P190) غير أننا إذا أردنا فهم معنى عبارة نيتشه "لقد مات الإله"، فلن يكون الأمر سهلا علينا البتة، لأننا سنجد بأنها غامضة للغاية، "فنيتشه هو صاحب المقولة الشائعة: «إن الله مات». وهي مقولة شديدة الغموض". (رمسيس عوض، 1997، ص20) وقد شعر الفلاسفة الذين جاءوا من بعد نيتشه بهذا الغموض، كما شعر به شراحه أيضا، لهذا فإنهم توقفوا طويلا عند عبارة نيشته، محاولين فهم مقاصدها، وكانوا على يقين بأنها تحتمل عدة تأويلات، لأنها تنطوي على عدة دلالات، بعضها ديني وبعضها فلسفي، كما تملك هذه الدلالات علاقة عضوية بالمشروع الفلسفي النيتشوي، والذي يكمن في القلب الجذري لكل القيم. وهذا بالضبط ما نريد تسليط الضوء عليه في هذا المقال المتواضع، ولهذا الغرض فإننا سنطرح الإشكال التالي: **ما هي أهم الدلالات الدينية والفلسفية التي تحملها فكرة موت الإله عند نيتشه؟ وكيف تخدم هذه الدلالات المختلفة مشروعه الفلسفي الخاص؟**

1- أهداف البحث:

تتمثل أهداف هذا البحث في شرح أهم الدلالات التي تتضمنها فكرة موت الإله عند نيتشه، سواء من الناحية الدينية أو الفلسفية، ثم بيان العلاقة الوثيقة التي تربط هذه الفكرة بالمشروع النيتشوي ككل، حيث سنسعى لتوضيح مدى مركزية هذه الفكرة في فلسفته. أما المنهج المعتمد فهو أساسا المنهج التحليلي الذي يكمن في الرجوع إلى النصوص الفلسفية المختلفة المستقاة من المصادر والمراجع الخاصة بنيتشه، ثم شرحها وتحليلها. كما سنلجأ في بعض الأحيان إلى المنهج المقارن، حيث يملك نيتشه علاقة جد قوية مع عدد كبير من الفلاسفة السابقين له، لأنه إما تأثر بهم أو انتقدهم، لذلك فإننا سنذكرهم كلما اقتضت الضرورة ذلك.

2- الدلالات الدينية لموت الإله:

قلنا قبل قليل إن دلالات فكرة موت الإله عند نيتشه تنقسم إلى دلالات دينية وأخرى فلسفية، وسنبدأ بعرض مختصر للأولى، لننتقل بعدها إلى الثانية، فهي ما نريد تفصيله أكثر.

أ- موت الإله المسيحي: من المؤكد أن أول معنى للفظ الإله عند نيتشه هو المعنى الديني المألوف، أي إله الدين عموما، وإله المسيحية بوجه خاص، فقد كرّس نيتشه الجزء الأكبر من نقده للدين لنقد الدين المسيحي، وأول ما نقده في الدين المسيحي هو الإله الذي تؤمن به، أي الإله المسيحي، "يهاجم الإله المسيحي مهاجمة قاسية بلا هوادة". (صفاء عبد السلام علي جعفر، 2010، ص361) حيث رفضه رفضا قاطعا ودعا إلى ضرورة موته، أو بالأحرى قتله على يد الإنسان.

في الحقيقة إن التأويل الديني لفكرة موت الإله يرتكز على حجج لا جدال فيها، والتي تكمن أساسا في أقوال نيتشه نفسه، ففي أحد نصوص كتاب **العلم المرح**، التي يعلن فيها موت الإله، يصرح نيشته بوضوح تام أن ما يقصده بهذا الموت، هو موت الإله المسيحي نفسه. حيث قال: "أهم حدث حصل في العهد القريب، وبدأ في بسط ظلاله الأولى على أوروبا، هو حدث «أن الله قد مات»، وأن الاعتقاد بالإله المسيحي قد تمت زعزعته" (Nietzsche, Livre 5, Art 343, P 302).

ب- موت جميع الآلهة الدينية: تعتبر المسيحية امتدادا لليهودية، ومن ثم فإن العقائد المسيحية هي مجرد تطور وتحول للعقائد اليهودية، لذلك فالعلاقة بين الإله اليهودي والإله المسيحي جد وطيدة، فهما قريبان جدا من بعضهما، لهذا فمثلما أعلن نيتشه موت الإله المسيحي، سيعلن أيضا موت الإله اليهودي. ولن يكتفي نيتشه بهذا الحد فقط، بل سيعلن إلى جانب ذلك موت جميع الآلهة،

وفي كل الديانات دون استثناء. "في كل حال، ليس رفض الله مقتصرا على رفض الإله الواحد اليهودي– المسيحي، إنه أيضا رفض الآلهة القديمة وبكل أشكالها". (بيار هيبر سوفرين، 2002، ص44).

ج- **إلحاد نيتشه:** وقبل أن نمضي بعيدا في تحليلنا، يجب علينا أن نلفت الانتباه منذ الآن إلى أن نيتشه لا يقصد مطلقا بلفظ الإله المعنى المعروف عندنا نحن المؤمنين، أي الإله كموجود حقيقي فعلا، لأن نيتشه فيلسوف ملحد بصدق وعلى الإطلاق، وهو من يؤكد ذلك صراحة وبكل فخر واعتزاز، حيث يقول: "الإلحاد المطلق والصادق (في هوائه فقط نحن نتنفس بسهولة)". (Nietzsche, 1990, P279) لهذا فإنه ينظر إلى الإله على أنه مجرد فكرة فقط موجودة في عقل الإنسان، وهذا العقل هو الذي اخترعها، لذلك فهي فكرة وهمية وزائفة، ومع ذلك فإنها من أخطر الأفكار، لأنها لعبت دورا جد سلبي في تاريخ الإنسانية، فهي فكرة معادية للحياة، ولم تجلب للإنسان إلا الاغتراب والانحطاط والضعف والتعاسة، ولذلك وجب القضاء عليها نهائيا. "إله المسيحيين وهو إله معاد للحياة. لذا كانت نظرة نيتشه عن الإله، كفكرة زائفة فهذا الإله العنكبوت هو فكرة من أفسد الأفكار التي تم التوصل إليها على هذه الأرض، ففي هذا الإله هناك عداء صريح تجاه الحياة والطبيعة والرغبة في الحياة" (هجران عبد الإله الصالحي، 2015، ص 180).

د- **نيتشه عدو المسيح:** أبدى نيتشه عداءً شديدا للدين في جميع صوره، وللدين المسيحي بوجه خاص، إلى درجة أنه نصّب نفسه عدوا لدودا للمسيح، وأطلق على نفسه اسم **عدو المسيح،** وهو أيضا عنوان أحد أشهر كتبه التي يتهجم فيها على المسيحية بلا هوادة. "ولقد دعا نيتشه نفسه العدو اللدود للمسيحية، هو الذي نشأ في أحضانها وما لبث أن ثار عليها" (مشير باسل عون، 2003، ص27). ولعل عبارة موت الإله أو قتل الإله، وبالرغم من قساوتها الشديدة، إلا أنها تدل مع ذلك وبوضوح تام على مدى عداء وكراهية نيتشه للدين وللآلهة.

3- **الدلالات الفلسفية:**

بالرغم من أهمية التأويل الديني لفكرة موت الإله عند نيتشه، إلا أن الأهم منه في نظرنا هو التأويل الفلسفي لهذه الفكرة، لأنه من المؤكد أن موت الإله لديه انعكاسات جد عميقة على الصعيد الفلسفي، وهو ما يهمنا أكثر، أولا لأننا مشتغلون بحقل الفلسفة، ثم لأن نيتشه نفسه فيلسوف، ونحن ندرسه كفيلسوف وليس كلاهوتي*، ثم لأن ثورته الشرسة على الدين هي في نهاية الأمر موقف فلسفي بالدرجة الأولى، وتعبر عن قناعات فلسفية راسخة عنده، ومن ثم فهي تتداخل مع نظرياته الفلسفية إلى أبعد حد، لأجل ذلك فإن هذا التأويل الفلسفي هو الذي يستحق أن نتوقف عنده مطولا في مقالنا هذا. في الحقيقة إن الدلالات الفلسفية لفكرة موت الإله كثيرة جدا، وإذا ما تتبعناها سنجد أنها تستغرق فلسفة نيتشه بأكملها، سواء الميتافيزيقا أو المعرفة أو الأخلاق أوالفن أو السياسية... لذلك سنقتصر على ذكر أهمها، وهي في تصورنا ثلاث دلالات كبرى، تغطي ثلاثة مجالات أساسية هي الميتافيزيقا، نظرية المعرفة والأخلاق، والتي تتمثل تباعا فيما يلي: موت فكرة العالم الآخر أو العالم الماورائي، موت العقلانية والمثالية الأوروبيتين، وأخيرا موت الأخلاق التقليدية.

أ- **موت فكرة العالم الآخر أو العالم الماورائي:**

أجمع معظم الفلاسفة والدارسين لفلسفة نيتشه على أن فكرة الإله ترمز عنده من الناحية الفلسفية إلى العالم الآخر، أي العالم الميتافيزيقي الماورائي المفارق للعالم الحسي، "إن اسم الإله، والإله المسيحي في فلسفة نيتشه يدل بصفة عامة على العالم المجاوز للحس" (يسري إبراهيم، 2007، ص166). ويبدو بذلك أن عبارة موت الإله تعني عنده موت هذا العالم الميتافيزيقي المفارق. ويعتبر هيدجر من أشهر المروجين لهذا التأويل وأشدهم تحمسا له، حيث قال: "في هذه الجملة، يظهر أن لفظ نيتشه حول موت الإله يتعلق حقا بالإله المسيحي. لكنه من اليقيني أيضا من جهة أخرى، أنه يجب علينا أن ننتبه سلفا إلى أن لفظي «الإله» و«الإله المسيحي» يُستخدمان في

* في الحقيقة هو أبعد ما يكون عن اللاهوتيين، لأنه ضدهم في كل شيء.

الفكر النيتشـــوي، من أجل الدلالة على العالم المجاوز للحس على العموم. «الإله» هو اســـم لمجال التصـــورات والمثل" (Heidegger, 1962, P109). ولو دققنا قليلا لوجدنا أن العالم الآخر أو المـاورائي ليس في نهـايـة الأمر إلا عـالم المثل الأفلاطوني القديم، فمن المعروف جدا في تـاريخ الفلسـفة أن أفلاطون قسم العالم إلى عالمين هما: العالم المحسـوس أي العالم الفيزيائي، وعالم المثل، وهو العالم الميتافيزيقي المعقول المفارق للعالم المحسوس. وقد تلقف المسيحيون منذ العصر الوسيط –مع القديس أوغسطين أولا ثم مع من تلاه- هذا العالم الأفلاطوني، وتبنوه وزاوجوا بينه وبين دينهم المسـيحي، حتى أخرجوا لنا عالما أفلاطونيا مسـيحيا، أي عالما ميتافيزيقيا لاهوتيا، توغل بعمق في الفلسـفة الأوروبية منذ العصـر الوسـيط إلى العصـر الحديث. وهذا العالم بالذات هو الذي يسـتهدفه نيتشـــه أثناء نقده لفكرة الإله، أي أنه عندما يعلن موت الإله، فهو إنما يعلن في الحقيقة موت عالم المثل الأفلاطوني، طبعا عالم المثل في تطوراته وامتداداته التاريخية في الفلســـفة الأوروبية منذ العصر الوسيط إلى عصره هو.

أ-1- <u>العالم الميتافيزيقي هو العالم الحقيقي</u>: العالم الميتافيزيقي الماورائي هو أولا وقبل كل شـــيء عالم الأشـياء- في ذاتها (Les choses en soi)، أي عالم الوجود الحقيقي، أو أيضـــا عالم الكينونة (L'Etre) ذلك أن أفلاطون عند تقســـيمه للعالم قســـمته الثنائية المشـــهورة، عرّف العالم المحسوس بأنه عالم الظواهر، وهو عالم زائف، لأنه عالم الأشياء المادية المتغيرة والكثيرة والزائلة والناقصـة، بينما عرّف عالم المثل بأنه عالم الوجود الحقيقي، لأن المثل هي معقولات مجردة، ثابتة، واحدة، أزلية وكاملة. "منذ أفلاطون، وعلى وجه الدقة منذ التأويل اليوناني والمســـيحي للفلســـفة الأفلاطونية، اعتبر هذا العالم المجاوز للحس بأنه العالم الحقيقي، والعالم الواقعي بالحقيقة. بالعكس العالم الحســـي، العالم الدنيوي، هو عالم متغير، ومن ثم عالم ظاهري محض وغير حقيقي... وإذا سمينا، مثلما فعل كانط ذلك، العالم الحسي «العالم الفيزيائي»، بالمعنى الواسع للكلمة، عندئذ سيكون العالم المجاوز للحس هو العالم الميتافيزيقي" (Heidegger, P109).

لذلك فإن قسـمة العالم إلى عالم معقول وآخر محسـوس، سـتتخذ صـورة أقوى وأكثر حضـورا في الفلسـفة الحديثة، هي قسـمته إلى العالم الحقيقي والعالم الظاهري، أو عالم الأشـياء في ذاتها وعالم الظواهر، خاصـــة مع كانط. فيســـود الاعتقاد في الفلســـفة الحديثة بأنه يوجد وراء عالمنا الحســـي الظاهري والخادع، عالم آخر أسمى منه، وأكثر حقيقة منه، وسيختلف الفلاسفة كثيرا في تصورهم لهذا العالم، لكنهم يجمعون على وجوده.

ويظهر بذلك أنه حينما أعلن نيتشه موت الإله، فإنه كان يقصده من الناحية الفلسفية إعلان موت هذا العالم الميتافيزيقي المفارق، من حيث هو عالم الوجود الحقيقي. "فالله –في نظر نيتشـــه- ما هو إلا رمز لعالم المثل والمثل العليا، المفارقة لعالم الحس والتجربة، أي رمز لعالم القيم، ذلك أن الله هو الأســـاس والغاية النهائية لهذه المثل العليا، التي هي بدورها غاية الحياة الدنيا L'ici- bas، والتي تحدد هذه الحياة تحديدا يأتي من أعلى ومن خارجها، أي من العالم السماوي.. عالم الما وراء L'au-delà، هذا العالم يؤلف -منذ أفلاطون- العالم الحقيقي، الشـــرعي، الخالد. أما العالم الدنيوي المتغير الحســـي، فما هو إلا عالم ظاهري زائف، غير واقعي. وإذا نظرنا إلى هذا العالم "الظاهر" الحســـي، بالمعنى الكنتي الواسـع للعالم "الفيزيقي"، فعندئذ يكون العالم المثالي، المفارق لعالم التجربة والحس في التراث الأفلاطوني –هو العالم المفارق للعالم "الفيزيقي" ويتجاوزه، هو العالم الميتـا- فيزيقي. وعلى هذا، فالله –في نظر نيتشه- يرمز إلى عالم الميتافيزيقا" (محمود رجب، 1986، ص91).

أ-2- <u>العالم الميتافيزيقي ضـــد الحياة</u>: من بين أقوى الحجج التي اســـتعملها نيتشـــه في نقده للعالم الميتافيزيقي، هو أنه ضد الحياة أو افتراء عليها، لأنه يعلي من شأن عالم ماورائي مفارق لنا، ويحط من قيمة العالم المحســـوس الذي نعيش فيه فعلا، فيهجر الواقع، بســـبب اعتقاده في الوهم وتقديســـه له. "إن الاعتقاد بوجود «عالم آخر» حقيقي يكون العالم المحســـوس الذي نحيا فيه عالم زائف بالنسـبة إليه، بدا لنيتشـه أكبر إدانة للحياة على الأرض، تلك الحياة التي يقدسـها نيتشـه أعظم

تقديس ويتغنى بها في كل كتاباته. ومن هنا كان هجوم نيتشــه الشـديد على «ثنائية العالم» باعتبارها صنما من أصنام الفلسفة، ومؤكدا أن العالم المحسوس أو العالم الظاهر أو عالم الفينومينا، كما يسميه كانط، هو العالم الحقيقي الوحيد، وليس من عالم آخر سواه" (يسري إبراهيم، ص141).
يؤكد نيتشـه ضـد كل الفلاسـفة السـابقين له، أن العالم الواقعي أو الأرض كما يحلو له أن يسميه، هو العالم الحقيقي، وهو عالم الصيرورة الدائمة، ولا يوجد أي عالم آخر وراءه. وقد قضـى نيتشه قضاءً نهائيا على هذا العالم الماورائي عندما أعلن موت الإله، الذي يعتبر مجرد رمز لهذا العالم. ونستنتج بذلك أن موت الإله عند نيتشـــه يعني موت العالم الأنطولوجي المســـيحي- الأفلاطوني، الذي كان أساس الميتافيزيقا الأوروبية لقرون طويلة.

أ-3- <u>موت الأنطولوجيا التقليدية عموما</u>: من جهة أخرى، ومع موت العالم الميتـافيزيقي المفارق سـتموت حتما الأنطولوجيا أيضـا، لأنها العلم الذي يختص بدراسـة هذا العالم أي دراسـة الوجود الحقيقي الثابت والمطلق، وهذه دلالة أخرى لموت الإله عند نيتشـه. "يمكننا أن نذهب إلى أن موت الإله بالمعنى العدمي يقوم على فرض أســاســي مؤداه أن كلمة الإله... هي «علم وجود»" (صــفاء عبد الســلام علي جعفر، ص361). لهذا فإن موت الإله يرادف أيضــا موت كل أشــكال الأنطولوجيا القديمة عند نيتشه، لاسيما الأنطولوجيا المسيحية.
الأنطولوجيا المسيحية أو علم الوجود عند المسيحيين هو علم ميتافيزيقي ولاهوتي في الوقت نفسه، والذي كرس عداء المسـيحية للحياة وللواقع. لهذا يدعو نيتشــه إلى ضــرورة موته، من خلال فكرة موت الإله. "كلمة الإله التي ذكرها نيتشــه... هي علم وجود... ونيتشــه حينما يتكلم عن الإله، فهو يتكلم عن صــيغة من صــيغ الأنطولوجيا" (صــفاء عبد الســلام علي جعفر، ص361)، وهي الأنطولوجيا الأوروبية، أي الأفلاطونية – المسيحية. لهذا فإن ثورة نيتشه على الدين، هي بوجه من الوجوه ثورة على الأنطولوجيا التقليدية، ودعوة للقضــاء عليها. "هدف نيتشــه هو قلب الأنطولوجيا التقليدية أو صــياغة التقويم الأنطولوجي والأخلاقي المقلوب، وما يتضــمن من علو ديني يقوم على ضــرورة تحرير الموجود من الأنطولوجيا الأخلاقية، ويدعو إلى براءة جديدة في الحياة، وهذا ما يعني بالتحول في جميع القيم أو إعادة تقويم القيم" (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص362).
وقد رمز نيتشــه إلى عالم الوجود الحقيقي بفكرة الإله، لأنه يعرف جيدا العلاقة الوطيدة بينهما، فالإله
هو أساس العالم الأنطولوجي، سواء عند أفلاطون أو عند الفلاسفة المسيحيين. "والواقع أن نيتشه لا يفصــل بين فكرة «العالم الآخر» وفكرة «الإله» باعتباره يشــكل أســاس هذا العالم ويمثل أكبر اعتراض
على الحياة الأرضية" (يسري إبراهيم، ص157).

أ-4- <u>ضرورة العودة إلى الحياة</u>: في مقابل عداء نيتشه الشديد لكل ما هو ديني، ولكل ما هو أنطولوجي، نرى إيمانه العميق بالحياة وبالواقع وتقديســه الشــديد لهما، فهو إنما أراد موت الإله، ومعه موت الدين والأنطولوجيا، من أجل استعادة قيمة الحياة من جديد، وهي القيمة التي سُلبت منها مع الدين المسـيحي ومع الفلسـفة الغربية. لهذا فإن فلسـفة نيتشـه هي فلسـفة الحياة، أي فلسـفة العالم الواحد الظاهري، أو باختصار فلسفة المظهر والصيرورة. "بالنسبة إلى نيتشه، لا يوجد إلا المظهر، وليس هناك شــيء خلفه. إلا أنه بالنســبة إلى نيتشــه الوجود هو المظهر، لأن كل حياة ترتكز على المظهر، على الفن، على الوهم، على علم البصريات، على ضرورة منظورية النظر، وعلى الخطأ، وإدانة المظهر هي إدانة للحياة"(Marilie Rhéaume, 2017, Pp9-10) .
وكأن نيتشه يريد أن يعلن موت الإله، وموت العالم الميتافيزيقي المفارق، لكي يستبدل بهما الحياة أو الأرض، التي يجب أن يتمسـك بها الإنسـان إلى أقصــى حد، وذلك بعد أن يتحرر من جميع أوهامه الدينية والفلسـفية القديمة، وهو ما بشـر به نبيه زرادشـت. "يأتي أول إنكار للعالم الآخر وأول دعوة للتمســك بالحياة على الأرض والوفاء لها على لســان زرادشــت في الفقرة الثالثة من مقدمته فور إعلانه عن موت الإله مباشـرة، وكأنه يريد أن يحل محل عبادة الإله السـماوي المسـيحي عبادة آلهة

أخرى جوادة دائما وهي الأرض. وعلى هذا لم يعد الآثم هو الذي لا يكون وفيا للإله المسيحي، بل هو الذي لا يكون وفيا للأرض، فيُصِّدق أولئك الذين يسممون حياته حين يمنونه بعالم آخر أفضل من العالم الأرضي" (يسري إبراهيم، ص149).

ب- موت العقلانية والمثالية الأوروبيتين:

إضافة إلى ما سبق يرمز موت الإله عند نيتشه إلى موت كل الفلسفات العقلانية والمثالية التي عرفتها أوروبا. "المعنى الأول لموت الإله: نهاية كل مثالية تتخذ صورة عالم آخر خلف الإنسان، وهيئة تعال موضوعي". (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص 352) ذلك أن معظم الفلسفات الأوروبية قد اصطبغت منذ أفلاطون وإلى هيغل، مرورا بأوغسطين، ثم ديكارت ولايبنتز وكانط... بالصبغة العقلانية من جهة، وبالصبغة المثالية من جهة ثانية. والسبب في ذلك أمران، أولا أن هذه الفلسفات اعتمدت في تحصيلها للمعرفة على العقل اعتمادا كاملا، ثانيا لأن تصور هذه الفلسفات للحقيقة كان تصورا عقلانيا خالصا.

ب- 1- تقديس الفلسفة التقليدية للعقل: وثقت الفلسفة التقليدية ثقة كاملة في العقل الإنساني، وهذا ما جعلها عقلانية حتى النخاع. ولم يقتصر ذلك على الفلسفة الأوروبية فقط، بل امتد إلى الثقافة الأوربية بأسرها، وذلك منذ لحظة نشأتها مع سقراط وأفلاطون، وصولا إلى عصر هيغل. "فمن جهة، تتميز ثقافتنا بإيمانها بالعقل، وثقتها في نظام الأشياء والفكر، وتريد أن تكون «عقلانوية rationaliste» بشكل أساسي: إنها هذه العقلانوية التي تبدأ مع طريقة سقراط، سقراط هذا بالضبط الذي يدشن تلك الثقافة. إنها هذه العقلانوية ذاتها التي جمدت على امتدادا ألفي عام إطارات أفكارها في منطق أرسطو. وهي أيضا التي أدخلها اللاهوتيون في الديني، قبل أن تقيم ثورة عبادة إلهة العقل. وهي التي تجددت وابتدعت العلم مع الطريقة الديكارتية؛ وهي أيضا التي نقع عليها من جديد، مجددة من جديد، في ديالكتيك هيغل وعباراته المشهورة «ما هو عقلاني هو واقعي، وما هو واقعي هو عقلاني»" (بيار هيبر سوفرين، ص38).

ب- 2- الحقيقة عقلانية محضة: كان تصور الفلسفات التقليدية للحقيقة تصورا عقلانيا خالصا، ذلك أن الحقيقة بالنسبة إليها هي الحقيقة المعقولة، المجردة، المطلقة، الضرورية، الثابتة، وباعتبارها كذلك فإنه يستحيل عليها أن تسكن عالمنا هذا، لأنه عالم المادي والمحسوس، أي عالم التغير والنسبية. لذلك ومنذ أفلاطون وُضعت الحقائق في عالم لحالها، عالم ماورائي مفارق. وهذا ما يثبت العلاقة الوثيقة بين الميتافيزيقا التقليدية ونظرية المعرفة التقليدية، لأن الأولى هي أساس الثانية، أي أن الاعتقاد في وجود عالم ميتافيزيقي مفارق مرتبط بقوة بمفهوم الحقيقة، لأنه العالم المطلق الذي تستقر فيه منذ الأزل. "وهكذا ارتفعت الحقيقة فوق عالم التغير والصيرورة الذي نعيش فيه، واستقلت عن شروط الحياة المتحكمة فينا، واصطبغت بصبغة الأزلية، فكوّنت عالما قائما بذاته، هو عالم المطلق. وفي هذا العالم تستقر كل الأزليات الأخرى التي عرفها العقل البشري، من مثل أفلاطونية وأشياء في ذاتها، ومبادئ مطلقة، وعلل أولى" (فؤاد زكريا، 1966، ص63).

ب-3- الطابع الميتافيزيقي للحقيقة: مادامت الحقيقة تسكن في عالم مفارق للعالم المحسوس، ولا يمكن معرفتها معرفة يقينية ومطلقة إلا باستعمال العقل الخالص، فإن ذلك يثبت بوضوح تام أنها تتسم بطابع ميتافيزيقي بحت، وهو ما نجده منذ الفلسفة اليونانية لاسيما مع أفلاطون. "ذلك لأن العالم الميتافيزيقي –في الفلسفة التقليدية- قد بُني على الإيمان بوجود حقائق عقلية خالصة، تتخذ دعائم للوصول إلى ذلك العالم". (فؤاد زكريا، ص70) ونتيجة ثقتهم العمياء بالعقل وصل القدماء إلى تقديسه إلى أبعد حد، إلى درجة يمكننا القول معها إن العقل قد أصبح إلها عندهم، "وهكذا جعلوا منه إلها ذا سلطة إلهية وجوهر إلهي" (هجران عبد الإله الصالحي، 2015، ص121). أو كما يحلو لنيتشه وصفه صنما يعبدونه. "لقد وجد نيتشه من خلال دراسته للفلسفات السابقة له أنها قائمة على عبادة أصنام، وأول هذه الأصنام وأكبرها هو العقل، الذي آمن الناس والفلاسفة بقدرته على اكتشاف الحقيقة والوجود، ونصبوه حاكما مطلقا قوانينه من قوانين الوجود،

وفصـــلوه عن الحياة ووضـــعوه فوق الوجود وليس جزءا منه يعبر عن جانب من جوانبه المتعددة" (هجران عبد الإله الصـالحي، ص121). لهذا اكتسـت الحقائق عند القدماء طابعا ميتافيزيقيا عميقا، فالحقائق عندهم هي الحقائق الميتافيزيقية، أي المعقولات الخالصـــة، المطلقة، المســـتقلة عن العالم وعن الإنسـان على السـواء. "إنها أفكار لها حقيقتها من ذاتها وباسـتقلال عن أي عقل". (Alfred Fouillée, 1888, Tome3, P163)، وهذا ما جعل العقلانية الغربية عقلانية ميتافيزيقية في الأساس.

ب-4- <u>الطابع اللاهوتي للحقيقة</u>: لم يقتصـــر القدماء على إصـــباغ الحقيقة بالصـــبغة الميتافيزيقية الخالصـــة، بل زيادة على ذلك أصـــبغوها أيضـــا بصـــبغة لاهوتية جد عميقة، ذلك لأن الفلاســـفة ربطوا بين الحقيقة والإله بعلاقة جد قوية، حيث جعلوا الإله هو الحقيقة الأولى والمطلقة، التي سـموها الحقيقة القائمة بذاتها، وهي تتضـمن بداخلها كل الحقائق الأخرى، لذلك فالإله هو النور الذي ينير كل العقول البشـرية بالحقائق التي يمتلكها هو وحده. "وعلى هذا النحو فإن معرفة الحقيقة هي أن يُنار بالحقيقة القائمة بذاتها، بشـــمس الروح، التي هي الإله". (Régis Jolivet, 1932, P173) فأصـــبح الإله "هو أب الحقيقة ذاتها، الذي يكون عقله محل المثل". (Alfred Fouillée, 1888, Tome2, P132) كما أصـــبحت الحقيقة إلهية متعالية، ولم يحصـــل ذلك مع الفلاســـفة المسيحيين في العصر الوسيط فحسب، بل إنه بدأ مبكرا مع أفلاطون نفسه. "هذا الإيمان المسيحي الذي كان أيضـا إيمان أفلاطون، والذي أقر أن الإله هو الحقيقة، وأن الحقيقة إلهية" (Nietzsche, Livre2, Art344, P304). فوصل الفلاسفة القدامى بذلك إلى تأليه الحقيقة مثلما ألهوا العقل. "إن الحقيقة بالنسـبة إليهم مطلقة، كاملة، وبالتالي إله. وما على المرء إلا أن يكتشـفها ويسـتسـلم لها، دون أن يكون له دور في اختراعها" (رودولف شتاينر، 1997، ص ص88- 89).

وقد أصبحت الحقيقة إلها، لأنها أصبحت جزءا من ذات الإله، فهي تمثل عقل الإله، أو بالأحرى أفكاره الأزلية، ومن ثم تدخل في صفة العلم الإلهي. ويتضح لنا بذلك أن الفلاسفة القدامى لم يكتفوا بربط نظرية المعرفة بالأنطولوجيا، وذلك عندما جعلوا الحقائق معقولات مجردة تســـكن عالما ميتافيزيقا مفارقا، لكنهم إضـــافة إلى ذلك ربطوها باللاهوت، وذلك عندما أحلوها في عقل الإله، فتصـورا أن الإله هو العقل الأول والأسـمى الذي يتضـمن في ذاته ومن ذاته كل الحقائق، ولا يمكن للعقول البشرية أن تدرك الحقيقة إلا من خلال اتصالها بالعقل الإلهي وأخذ الحقيقة منه.

ب- 5- <u>اســـتقلال الحقيقة عن الإنســـان</u>: من أهم نتائج التصـــور التقليدي للحقيقة، هو أن الحقيقة ستكون مستقلة استقلالا تاما عن الإنسان، لأنه ليس لديه أي سلطان عليها، فهو لا يصنع هذه الحقيقة ولا يغيرها، بل ولا يؤثر عليها بحال من الأحوال، بالعكس إنه يجد الحقائق جاهزة في عقل الإله. بل وأكثر من ذلك، مادامت هذه الحقائق أزلية، فإنها تسـبق في وجودها وجود الإنسـان نفسـه، لهذا فإن كل عمل الإنسـان أثناء المعرفة يقتصـر على اكتشـاف هذه الحقائق المسـتقلة عنه والجاهزة تماما، ويكون ذلك باستخدام عقله، والصعود نحو الأعلى لتلقي الحقائق من العالم الماورائي، أي من عقل الإله مباشـرة. "الحقيقة لا تولد فينا ولا معنا...إنها تأتي من الإله، الذي نوجد فيه، بدل أن يوجد هو فينا".(Etienne Gilson, 1943, P102) وبهذا "يكون الإله مصـــدر الحقيقة". (Etienne Gilson, P103) عند القدماء، أما الإنسـان فلا يمكنه أن يكون إلا مجرد متلقٍ لها فقط. "الإله وحده هو هذا النور، مادام عقلنا هو متلقٍ للحقيقة".(Etienne Gilson, PP126- 127) وهذا ما يترتب عنه أن تكون الحقائق مفروضـــة عل الإنســـان من الخارج، أو بالأحرى من الأعلى، فهي "حقائق أبدية، ضـرورية تفرض نفسـها على الفكر". (Etienne Gilson, P164) لهذا فالإنسـان خاضـع للحقيقة الخارجة عنه، ويستحيل عليه أي يكون مصدرها بأي وجه من الوجوه. وهذا "بسبب أننا نجد الحقيقة جاهزة، والماهية باعتبارها قانونا مفروضا على عقلنا، بدل أن نشعر نحن أنفسنا بأننا مصدر الحقيقـة وقوانينهـا". (Alfred Fouillée, Tome 3, P345) ويعني ذلك بتعبير آخر أن عقل الإنســـان تابع لعقل الإله تبعية كاملة في المعرفة، مثلما يكون وجود الإنســـان تابعا لوجود لإله في

الميتافيزيقا. "التبعية الأنطولوجية الكاملة للعقل الإنساني بالقياس إلى الإله، الذي يستمد منه الوجود، النشاط والحقيقة". (Etienne Gilson, P111)

ب-6- انتقادات نيتشه للفلسفات العقلانية والمثالية: رفض نيتشه كل الفلسفات العقلانية والمثالية التي ظهرت قبله، وقدم اعتراضات عديدة ضدها، ولا يمكننا عرضها كلها بطبيعة الحال، بل سنكتفي بذكر أبرزها. وأول اعتراض لنيتشه عليها هو رفضه لتلك الثقة العمياء التي منحها الفلاسفة السابقون له للعقل، بالعكس العقل عنده لا يستحق الثقة بقدر ما يستحق التشكيك فيه، وفي قدرته على الوصول إلى الحقيقة، سواء في المجال النظري أو في المجال العملي. "هذا العقل يستحق من جهة أخرى الازدراء العظيم ذاته، في دوره النظري كأداة للمعرفة، كما في دوره العملي كواضع للقوانين الأخلاقية" (بيار هيبر سوفرين، ص66).

ويظهر بذلك أنه إذا كان الفلاسفة السابقون يمجدون العقل ويعتبرونه الوسيلة الكاملة للوصول إلى الحقيقة، فإن نيتشه يخالفهم تماما، فيؤكد أن العقل لم يصل عبر التاريخ إلا إلى الأخطاء فقط، لكنها كانت أخطاء نافعة للحياة الإنسانية، وهذا ما ألسبها ثوب الحقيقة، وضمن لها النجاح والاستمرار. "خلال فترات جسيمة من الزمن لم ينجب الفكر إلا أخطاء، ظهر أن البعض منها نافع لحفظ النوع: فكل من كان يتبناها أو يرثها كان قادرا على الانخراط في معركة مع حظ أوفر بالنجاح له ولخلفه. من هذه الأخطاء التي لم يتوقف تناقلها وراثيا على أنها عقائد راسخة، لدرجة شكلت معها العمق المشترك للنوع البشري... ولم يُكتشف إلا في وقت متأخر أن الحقيقة هي الشكل الأقل ضرورة للمعرفة" (نيتشه، 2001، الفقرة 110، ص ص 108- 109).

ب-7- نيتشه عدو العقل: إذا كان الفلاسفة القدامى قد وثقوا ثقة عمياء في العقل ومجدوه إلى أقصى حد، فإن نيتشه سيفعل العكس، إذ سيرفض العقل، وينصب نفسه عدوا له. والسبب الرئيسي الذي دفع نيتشه إلى عداء العقل هو قصوره عن إدراك الصيرورة. "إن العقل الإنساني في رأي نيتشه لا يستطيع أن يدرك الصيرورة، لأن تفكيره ينحصر في تعريف كل وجود بوصفه وجودا ساكنا ثابتا". (يسري إبراهيم، ص251) حيث يؤكد نيتشه أن الصيرورة هي جوهر العالم، وليس أبدا الثبات، كما توهم الفلاسفة السابقون له ذلك. وبما أن العقل عاجز عن إدراك الوجود المتغير باستمرار، فإنه يجمده، أي يخلق وهم الثبات، لكي يتمكن من التفكير في الواقع، وهنا يشوهه ويزيفه بالكلية. "فهو... يؤكد أن العقل يزيف الواقع عن طريق إضفائه صفة الثبات عليه، وأن الحواس بدورها تساهم في هذا التزييف، إذ تحيل تيار التغير الدائم إلى «أشياء» جامدة منفصلة" (فؤاد زكريا، ص72). إذا كان العقل عاجزا عن إدراك الصيرورة، فإن الحواس قادرة على ذلك بسهولة، لذلك يطرح نيتشه العقل جانبا، ويعتمد على الحواس في المعرفة، فيعيد لها الاعتبار بعد كل الاحتقار الذي تعرضت له في تاريخ الفلسفة. "يصر نيتشه على أهمية استعادة قيمة الحواس من جديد". (Marilie Rhéaume, P81)

ب- 8- ضرورة تحطيم صنم العقل: أعلن نيتشه إذن عداءه الصريح للعقل، واعتبره أكبر وأخطر صنم في مجال الفلسفة، وتكمن خطورته في أنه أوهم الفلاسفة بأنه أنتج لهم الحقائق، بينما الصحيح أنه لم ينتج إلا الأخطاء فقط، ومن ثم فإنه لم يوصل الفلسفة الغربية إلا إلى الانحطاط، وهذا ما يبرر ضرورة تحطيمه كلية. "ورأى نيتشه أن انحطاط الفلسفة يرجع في النهاية إلى فكرة الفلاسفة في العقل هذه، وأن أخطر شيء يهدد الحياة والوجود الحقيقي هو العقل مفهوما على هذا النحو، وأن الأوهام الأخرى التي وقع في شراكها الفلاسفة تكاد ترجع كلها إليه، أو على الأقل هي ثانوية بالنسبة له. فكان لزاما عليه أن يبدأ بتحطيم هذا الصنم الأكبر، وحينئذ يسهل عليه من بعد أن يحطم ما عداه من أصنام" (هجران عبد الإله الصالحي، ص 121).

ب-9- ربط المعرفة بالحياة: إذا كانت الفلسفات التقليدية هي فلسفات العقل، لأنها اعتمدت على العقل الخالص في بناء مفاهيمها ونظرياتها، فإن نيتشه سيسلك طريقا معاكسا لها، فهو سيبني فلسفة جديدة هي فلسفة الحياة، التي سيطرح فيها العقل جانبا، حتى في مجال المعرفة نفسه، لكي

يرجع إلى الغريزة، ويعيد لها الاعتبار، بعد أن احتقرها القدماء، وليست هذه الغريزة عنده إلا إرادة القوة، التي يعتبر أن كل ما في الوجود هو مجرد تجليات مختلفة لها. وبسبب تمجيده للغريزة، سيعيد نيتشه الاعتبار أيضا للبدن وللحواس، نظرا لارتباطهما بها.

ومن خلال تصوره الجديد للعالم، قضى نيتشه على ثنائية العالم الحقيقي والعالم الظاهري من ناحية، وعلى ثنائية المعرفة العقلية والمعرفة الحسية من ناحية ثانية. فلم يعد هناك بالنسبة إليه إلا عالم واحد هو عالم المظاهر الذي ندركه بالحواس. فأنشأ بذلك فلسفة واقعية ولا عقلانية (Irrationnelle) في الوقت نفسه، وهذا ما ينسجم تماما مع فلسفته للحياة، التي تقوم على غريزة القوة، وتبني كل حقيقة على النفع الحيوي. "فإذا كانت الحقيقة خاضعة للنفع الحيوي، فلابد أن كل ما نستهدف به بلوغ الحقيقة، أعني كل وسائلنا في المعرفة سوف تخضع للحياة بدورها. وهكذا نصل إلى نظرية لا عقلية في المعرفة، وفي طبيعة مبادئ الفكر الإنساني، وهي النظرية التي لازمت فلسفة نيتشه في كل مراحل تفكيره، حتى في أشدها إعجابا بالمنهج العلمي" (فؤاد زكريا، ص68) .

ب-10- <u>تحرير الإنسان في مجال المعرفة</u>: أهم نتيجة لتهديم نيتشه للعقلانية وللمثالية التقليديتين، هي أنه حرر الإنسان من الإله في مجال المعرفة، وبتعبير آخر حرر عقل الإنسان من عقل الإله. "إن إنكار نيتشه للإله أو المطلق وتهديم الحقيقة القائمة عليه هي بمثابة محاولة لإعطاء حرية للإنسان بوصفه الحقيقة الوحيدة والصيرورة الدائمة التي لا تنتهي". (هجران عبد الإله الصالحي، ص 105) حيث كان الإنسان في القديم تابعا وخاضعا بالكلية للإله، لأنه يستمد حقائقه منه، أما الآن فقد أصبح الإنسان متحررا منه تماما، لأنه أصبح خالق الحقيقة بنفسه، وانطلاقا من المعايير التي يضعها لنفسه، فلا تكون أية حقيقة مفروضة عليه أبدا، لذلك يسمي عقل الإنسان الأعلى **العقل الحر**. "المسيحي يبحث عن الحقيقة في الله، لأنه يرى في الإله منبعا لكل الحقائق... أما "العقل الحر" حقيقة فإنه يذهب إلى أبعد مدى... فالإنسان ذاته هو مبدع الحقيقة" (رودولف شتاينر، ص ص89- 90).

كانت الحقيقة عند الفلاسفة القدماء حقيقة إلهية، بل وإلها، لأنها تطابقت مع الإله الديني. "وهكذا أخذ النظريون فكرة القول بإله صالح، بإله للمتأملين ودققوها وسموا بها وبدلوا لونها حتى أحالوها عنكبوتا ضخما ينسج الوجود من خيوطه. فكان منه المثل الأعلى والعقل الخالص، والواحد المطلق، والشيء القائم بذاته، على أن هذا العالم القائم في ذاته" (هجران عبد الإله الصالحي، ص ص 179- 180). ووصل الفلاسفة المسيحيون على هذا النحو إلى تصورهم التقليدي للإله بوصفه «الإله- الحقيقة». (Larivière Jean, 2007, P80)، وهذا هو إله الفلاسفة، أو إله العقل.

أما نيتشه فإنه ينزع عن الحقيقة طابعها الميتافيزيقي واللاهوتي على السواء، فلم تعد الحقيقة معه حقيقة ميتافيزيقية مفارقة، ولا حقيقة إلهية سامية، بل هي حقيقة إنسانية محضة، والتي يبدعها الإنسان بنفسه وانطلاقا من حياته في هذا العالم، ووفق مبدأ المنفعة، وبالاعتماد على الحواس وعلى الغريزة، فيصبح الإنسان خلاقا ومبدعا فعلا، لأنه هو من يصنع حقائقه بنفسه وبالاعتماد على ذاته فقط، دون الرجوع إلى أي سند ميتافيزيقي أو لاهوتي. "والعقل الحر" يبقى في صورة وعيه إبان إبداع الحقيقة. ولم يعد ينظر إلى الحقيقة من حيث إنه خاضع لها، بل من حيث إنها إحدى إبداعاته" (رودولف شتاينر، ص 90).

ب-11- <u>إقصاء الإله من مجال المعرفة</u>: قلنا آنفا إن موت الإله عند نيتشه معناه موت جميع الفلسفات العقلانية والمثالية التقليدية، التي ظهرت في تاريخ الفلسفة الأوروبية، وسنوضح الآن الغاية القصوى التي كان يصبو إليها من وراء ذلك، وهي أن يلغي دور الإله في مجال المعرفة، وهو دور كبير جدا وحاسم جدا، حيث كان الإله دائما الأساس الحقيقي والأخير لكل الحقائق، سواء في مجال العلم أو الفلسفة أو في أي مجال آخر، ونتذكر مثلا كيف جعل ديكارت الإله أساس الحقيقة وضامنها في فلسفته، والأمثلة كثيرة جدا في تاريخ الفلسفة. ويعتقد نيتشه أن هذا الحضور القوي للإله في نظرية المعرفة التقليدية، قد قيّد الإنسان من ناحية، وعطّل إبداعه من ناحية أخرى، لذلك

وجب في نظره موت الإله في مجال المعرفة لكي يتحرر الإنسان ويمضي نحو الخلق والإبداع دون حدود ولا شروط.
ونلاحظ إذن أن نيتشه قد وصل هنا إلى نفس النتيجة التي وصل إليها في الميتافيزيقا، وهي أن الإله يجب أن يموت لكي يحل الإنسان محله، حيث سيصبح الإنسان هو الحقيقة الأولى والمطلقة في هذا الوجود، وليس الإله، كما سيصبح خالق كل الحقائق، بدلا عن الإله. وأهم النتائج التي ستترتب عن حلول الإنسان محل الإله في مجال المعرفة، هو التحول العميق لمفهوم الحقيقة، حيث ستصبح الحقيقة مع نيتشه واقعية وليست ميتافيزيقية متعالية، تجريبية نفعية وليست عقلانية خالصة، متغيرة وليست ثابتة، نسبية وليست مطلقة، قابلة للتكذيب والزوال وليست أزلية، ببساطة لقد أصبحت حقيقة إنسانية بحتة، وليست إلهية البتة. وكانت هذه ثورة كبرى في مفهوم الحقيقة، لأنها قلبتها رأسا على عقب، إذ قدم نيتشه مفهوما جديدا عن الحقيقة، كان نقيض المفهوم التقليدي الذي قال به الفلاسفة السابقون له، لأنه فصلها عن الإله وعن العقل وعن العالم الماورائي، وربطها بالإنسان وبالواقع وبالحياة. "فالشائع أن الحقيقة ثابتة، غير أن هذا الثبات إنما يرجع إلى فصلها عن الحياة، فإذا ما أعيد ارتباطها بها، أصبحت متقلبة مع الحياة في تغيرها وصيرورتها. والشائع أن الحقيقة مطلقة، أعني أن العوامل التي تتحكم فيها لا يمكن أن تكون عوامل حيوية أو نفعية، بل نقصد الحقيقة لذاتها دائما، غير أن ربط الحقيقة بالحياة يؤدي إلى نتيجة تخالف ذلك كل المخالفة" (فؤاد زكريا، ص63).

ج- موت الأخلاق التقليدية:

آخر دلالة فلسفية لموت الإله عند نيتشه هي موت الأخلاق التقليدية، "يرى نيتشه أن موت الإله حدث من أعظم أحداث العصور الحالية، ويعني زعزعة الاعتقاد في الإله المسيحي... ويعني انهيار كل ما يقوم عليه هذا الاعتقاد ويحيا به، أي انهيار كل الأخلاق الأوربية". (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص360) صحيح أن نيتشه يرفض كل الأخلاق التقليدية بوجه عام، لكنه يركز بوجه خاص على الأخلاق المسيحية، فهو يهدف إلى تهديمها من أصولها، لأنها أخطر أنواع الأخلاق في نظره، ثم لأنها في علاقة حميمة مع الدين المسيحي، "وهكذا فإن نيتشه يستهدف القضاء على الأخلاق التقليدية تماما، وعلى رأسها بغير شك الأخلاق المسيحية" (يسري إبراهيم، ص181).
يعتبر نقد نيتشه للأخلاق المسيحية من أعنف الانتقادات التي تعرضت لها في تاريخ الفلسفة، وسبب ذلك قناعته بأنها متغلغلة بعمق في المجتمع الأوروبي وفي الذهنية الأوروبية، ثم بأنها أخلاق جد خطيرة، لأنها تخفي وراء مظاهر الفضيلة والطهارة التي تزعمها، خبثا لا حدود له، لهذا فهي أحد أهم أسباب انحطاط أوروبا في نظره، "يتناول نيتشه بالنقد معظم القيم التقليدية والمسيحية المتداولة في المجتمع الأوربي، وهي الراسخة والعميقة الجذور في التراث المسيحي، ويصور خبثها وشرها، ويصف نقيضها على أنه الحقيقة" (هجران عبد الإله الصالحي، ص 104)، لأجل ذلك سيحرص نيتشه على بناء أخلاق جديدة تكون نقيض الأخلاق المسيحية.

ج-1- الطابع الديني للأخلاق المسيحية: أهم ميزة للأخلاق المسيحية هي أنها أخلاق دينية، أولا لأنها تقوم على الإيمان بالإله، ثانيا لأن القيم التي تدعو إليها هي قيم دينية في الأساس. وهذا الارتباط الوثيق بين القيم الأخلاقية المسيحية والدين المسيحي هو سبب انحطاطها، وهو الذي يستهدفه نيتشه بنقده اللاذع، لأنه لما كان عدوا للمسيح، فهو عدو أيضا لكل ما هو مسيحي، في الأخلاق كما في السياسة والفن والفلسفة...
يعتبر نيتشه فيلسوفا أخلاقيا عظيما، بل إن فلسفته كلها تحمل طابعا أخلاقيا عميقا أو بالأحرى قيميا، فلا ننسى أن مشروعه الكبير هو قلب جميع القيم، سواء في مجال الأخلاق أو المعرفة أو السياسة أو الدين أو الفن...، وقد كان نصيب القيم الدينية والقيم الأخلاقية المسيحية هو الأوفر في هذا النقد. "وعلى هذا النحو، كان نقد نيشته للأخلاق التقليدية، وعلى رأسها الأخلاق المسيحية بمثابة موقف مضاد أو انقلاب شامل على كل القيم، التي تدعو إليها هذه الأخلاق. فهو يرفضها برمتها، ويرميها بأبشع التهم ويحملها مسؤولية انحطاط الحضارة الأوروبية وحلول العدمية، وبناء على ذلك كان

نيتشــه من وجهة نظر هذه الأخلاق التقليدية فيلسـوفا «غير أخلاقي»" (يسـري إبراهيم، ص233). ومن المؤكد أننا لن نسـتطيع اسـتعراض كل انتقاداته للأخلاق التقليدية في هذا المقال المتواضـع، نظرا لكثرتها وتشـعباتها، لذلك سـنكتفي بعرض أهم انتقادات نيتشـه للأخلاق المسـيحية، نظرا لأنها تتصل بصورة مباشرة بموضوعنا.

ج-2- <u>انتقادات نيتشـــه للأخلاق المســـيحية</u>: أكبر اعتراض يقدمه نيتشـــه ضـــد الأخلاق المسـيحية* هو اعتقادها في وجود قيم أخلاقية عليا مفارقة للعالم الحسـي، والتي تكون ثابتة، مطلقة، موضـوعية وأزلية...، ونلاحظ هنا أن خصـائص القيم هي نفسـها خصـائص الحقيقة، لأنها هي أيضـا حقائق، ولكنها من نظام خاص، فهي حقائق أخلاقية، وليسـت إبسـتيمولوجية أو منطقية. لذلك فمثلما توجد الحقيقة في ذاتها في مجال المعرفة، يوجد الخير في ذاته في مجال الأخلاق. ونتذكر جيدا أن أفلاطون نفسـه قد وضـع مثل القيم الأخلاقية مع مثل الأشـياء الحسـية في عالمه للمثل، بل وخصـص لها مكانا جد عال وجد مرموق فيه، لأن مثل القيم أعلى من مثل الأشـــياء، بل وأكثر من ذلك جعل مثـال الخير أعلى مثـال في عـالم المثل، وهو مبدأ وعلـة جميع الأشـــيـاء. لـذلك يمكننـا أن نقول إن الأخلاق التقليدية تملك علاقة جد وثيقة بالميتافيزيقا التقليدية، فهي تقوم عليها، لأن القيم الأخلاقية هي "القيم المفارقة" (بيار هيبر سـوفرين، ص66). التي تسـكن العالم الميتافيزيقي الماورائي. ولما كان نيتشـه عدوا لدودا للميتافيزيقا التقليدية ولعالمها المفارق، فإنه يرفض بالضـرورة الأخلاق التي تقوم عليها. "ولقد أدرك نيتشـه أن التفسير الشـائع في عصـره، لا قيمة له، لأنه تفسير يلجأ إلى قيم لم يعد لها قيمـة أبدا، والســـبب في ذلك أنـه أعلن أن القيم، أي الله، والعالم المثـالي المفـارق للطبيعـة (الميتـافيزيقي) لا يمكن أن يترجم ويرتد إلى العالم الواقعي عالم التجربـة اليومية. لذلك كانت مهمـة نيتشـــه تتمثل في أن يفضـــح عقم ســـائر القيم التقليدية، ومن ثم دعا إلى رفضـــها" (محمود رجب، ص92).

ج-3- <u>تحطيم ألواح القيم القديمة</u>: إذا كان الفلاسفة اليونان -منذ أفلاطون- قد أصبغوا القيم الأخلاقية بصبغة ميتافيزيقية، بسبب وضعهم لها في عالم مفارق، فإن الفلاسفة المسيحيين في العصر الوسيط وحتى الحديث أيضـا، أضـفوا عليها إلى جانب ذلك صـبغة لاهوتية عميقة، وذلك عندما ربطوا بينها وبين الإله، حيث جعلوا الإله مصدر القيم الأخلاقية. فالإله عندهم هو مشرع الأخلاق، لأنه هو الذي حدد الخير والشر للإنسـان، ثم أنزل تشـريعه الأخلاقي على الإنسـان عن طريق الوحي، في صـورة أوامر إلهية عليا، يجب على الإنســـان الخضـــوع لها خضـــوعا كاملا، حتى ينال الســـعادة الحقيقية والدائمة، أي السـعادة الأخروية. وقد تمثل كل ذلك عند اليهود والمسـيحيين على السـواء في ألواح القيم القديمة، وهي الألواح التي نقش عليها الإله بنفســه الأخلاق اليهودية والمسـيحية، وأنزلها على موســى عليه السـلام. ويرى نيشـته أنه قد حان الوقت الآن لموت هذه الألواح القديمة التي بدأت في التصـدع منذ زمن، لكنه هو من سـيكسـرها كلية، وسـيفعل ذلك من خلال إعلانه لموت الإله، وهذا لكي تولد على أنقاضـها ألواح جديدة لا تقوم على خضـوع الإنسان للإله، وإنما على خضـوعه لنفسـه فحسـب، "أن يتبع المرء نفسـه هو إذن بالضـبط، بالنسـبة إليهم، ألا يتبع الله بعد الآن، هو أن يتخلى عن ألواح الشـريعة، التي نقشـها الله بنفسـه، وأعطاها إلى موسـى، وفرضـها على البشـر. أما أن يتبع المرء نفسه فهو أن يرفض طاعة الله ولا يعود يطيع غير نفسه" (بيار هيبر سوفرين، ص110).

في مقابل دعوة نيتشـه إلى موت الإله المسيحي، وموت ألواح القيم الأخلاقية القديمة معه، يدعو إذن إلى ضـرورة ظهور ألواح قيم جديدة، والتي سـيصـنعها الإنسـان وحده. "أن يتبع المرء ذاته هو في الوقت ذاته أن يخلق قيمه الخاصـة به، ولهذا بوجه خاص يقال إن رفاق زرادشت «مبدعون»؛ لأنهم «ينقشون قيما جديدة على ألواح جديدة» (بيار هيبر سوفرين، ص110). الإنسان وحده إذن هو الذي سـينقش في المسـتقبل على ألواح القيم الجديدة، أي القيم التي يحددها لنفسـه وبإرادته فحسـب، دون

*في الحقيقة هذا الاعتراض صالح للأخلاق التقليدية عموما، لأن مفهوم القيمة الأخلاقية في الأخلاق التقليدية هو نفس المفهوم في الأخلاق المسيحية.

الرجوع إلى أي مصـــدر أعلى مفارق، ســـواء أكان الإله أو العالم الميتافيزيقي، لهذا "فلم تعد هناك سماء للميتافيزيقا تملي على الإنسان أوامرها الخلقية، وأصبح من حق الإنسان وحده أن يضع لنفسه القيم التي تســـاعده على تنمية حياته وتقويتها وإثرائها والتي تبشـــر بظهور الإنســـان الأعلى، وهي الفكرة التي تتطلع إليها فلسفة نيتشه، وكأنها سماء جديدة للميتافيزيقا" (يسري إبراهيم، ص188).

ج-4- <u>الإنسان الأعلى خالق القيم الجديدة</u>: نرى بذلك أن موت الإله من الناحية الأخلاقية لا يعني فقط موت القيم الأخلاقية القديمة، ولكن موت مصـــدرها أيضـــا، وهذا هو الأهم بالنســـبة إلى نيتشه، فلم يعد الإله هو مصدر الأخلاق، بل الإنسان والإنسان فقط، بحيث سيصبح خالق القيم. لهذا تقوم فلسفة نيتشـه على "النظر إلى الإنسـان باعتباره خالق القيم" (يسـري إبراهيم، ص189). وهو يقصد بطبيعة الحال الإنسان الأعلى، أي الإنسان المتحرر بالكلية من الإله، والذي يحمل على عاتقه مســـؤولية وجوده، وحقائقه وقيمه، لأنه مثلما يخلق وجوده، يخلق حقائقه ويخلق قيمه أيضـــا. "هذا الإنســان الأســمى بالذات، الذي تحركه الفضــيلة الجديدة لأخلاق جديدة، إرادة القوة، ســوف يباشــر الطور الثاني من تحويل القيم، أي خلق قيم جديدة، قيم جديدة انطلاقا من واقع أنه لم يعد هنالك أي كائن مفارق ليتولى فرضها" (بيار هيبر سوفرين، ص36).

ج-5- <u>نسـبية القيم الجديدة</u>: مادام الإنســان هو خالق القيم عند نيتشــه، فيجب أن تكون القيم التي يخلقها متغيرة ونسـبية، لأن الإنســان كائن متغير ونسـبي تماما، فهو كائن تتحكم فيه الظروف المختلفة للحياة التي يعيشــها في الواقع. وأكبر دليل على نسـبية الأخلاق هو اختلافها من مجتمع إلى آخر، ومن عصـر إلى آخر، وهو ما انتبه إليه نيتشـه، مثلما انتبه إليه الكثير من فلاسـفة الأخلاق في عصـــره. "ويترتب على هذه النتيجة الخطيرة على الفور نتيجة أخرى وهي «نســـبية» القيم الخلقية وتغيرها بتغير الأشـخاص والشـعوب التي تخلقها وتضـعها لنفسـها، وهذا هو ما انتهى إليه زرادشت من زياراته للكثير من الشعوب" (يسري إبراهيم، ص188). فانتقل نيتشه بذلك من المفهوم التقليدي للقيم إلى مفهوم جديد تماما، أي من القيم الثابتة والمطلقة إلى القيم المتغيرة والنســـبية، لأنه بنى الأخلاق على أسس جديدة غير دينية وغير ميتافيزيقية، أي أنه رفض ربط الأخلاق بالإله أو بالعقل أو بالعالم الميتافيزيقي المفارق، وربطها بالإنســـان وبالحياة فقط، وهذا ما يتماشـــى تماما مفهومه للحقيقة في نظرية المعرفة. "لذلك كان رفضه للحقيقة المطلقة رفضا لوجود أي قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير، كما رفض إرجاعها إلى الإله، أو ردها إلى العقل، فأنكر بالتالي وجود خير في ذاته أو حق في ذاته، ورأى أن مرد هذه التعابير يجب أن يكون إلى الإنســـان الذي يتغير بتغيير ظروفه وأحواله، وانتهى بالقول بأن القيم والمعايير الخلقية تختلف باختلاف الزمان والمكان" (هجران عبد الإله الصالحي، ص 104).

ج-6- <u>ضـرورة بناء تقويم جديد</u>: اعتبر نيتشــه أن مشــروعه الفلسـفي الكبير يكمن في قلب القيم، أي هدم القيم القديمة، أو بالأحرى التقويم القديم، وبناء قيم جديدة، ومن ثم تقويم جديد، لأنه لا يكفي أن نهدم القيم، بل يجب علينا أن نهدم أيضـا طريقة التقويم نفسـها، وأيضـا المعايير القديمة التي يرتكز عليها هذا التقويم، وهي معايير الخير والشر، بحيث يدعو نيتشه الفلاسفة إلى أن يتعالوا فوق المعايير التقليدية للخير والشـر، "تعرفون ماذا أطلب من الفيلسـوف: أن يضـع نفسـه ما وراء الخير والشـــر، وأن يضـــع فوقه وهم الحكم الأخلاقي". (Nietzsche, chap3, Art7, P 45) ومن ثم يجب على الفلاسـفة أن يبتدعوا معايير جديدة للتقويم، والتي يرجعها نيتشـه إلى الغريزة، وبالضـبط إلى إرادة القوة. "إن نيتشـــه إذن يقدم هنا معيارا جديدا للقيم الخلقية، يختلف عن كل المعايير التي قدمها الفلاسفة السابقون عليه، وهذا المعيار الجديد هو إرادة القوة" (يسري إبراهيم، ص258).

بحيث يجب أن تصـــدر جميع القيم الجديدة من معيار واحد ووحيد هو إرادة القوة، فما يزيد من قوة الإنســان هو خير، وما ينقصــها هو شــر. "لكل ما ينمي "إرادة الاقتدار" في الإنســان قيمة، وكل ما يعوقها أو يضعفها خال من القيمة، بل مناف للقيم الحق" (يوحنا قمير، ص 32).

ج-7- <u>الأخلاق المسيحية ضد الحياة</u>: إضافة إلى الانتقادات السابقة، وجه نيتشه للأخلاق المسيحية نقدا آخر جد قوي، حيث اعتبرها أخلاقا معادية للحياة، لأنها تقوم على نفيها. ونتيجة نفيها للحياة فإنها تنفي الغرائز والبدن أيضا. وهذا بسبب نظرة الدين المسيحي نفسه إلى الحياة، فهي نظرة جد معادية لها، بل إن إله المسيحية نفسه معاد للحياة في نظر نيتشه. "فيذهب نيتشه في **أفول الأصنام** إلى أن مفهوم الإله استخدم حتى الآن كأكبر اعتراض على الحياة والوجود، وفي **خصم المسيح** يرى أنه عن طريق فكرة الإله أُشعلت الحرب ضد الحياة وإرادة الحياة، وأن فكرة الإله قناع يخفي من ورائه تشويه هذا العالم والافتراء عليه" (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص361). وقد كان من الطبيعي أن تعكس الأخلاق المسيحية النظرة السلبية للحياة التي نجدها في الدين المسيحي، وهذا بالضبط ما دفع نيتشه إلى رفضها.

ج-8- <u>ضرورة موت الإله للقضاء على الأخلاق المسيحية</u>: نرى إذن مدى ذكاء نيتشه في نقده للأخلاق المسيحية، حيث إنه لما كان يريد استئصالها من جذورها، كان لابد له أن يستأصل الأساس الأول الذي تقوم عليه، أي الإله، لذلك كان موت الإله عنده شرطا ضروريا لانهيار هذه الأخلاق، وكانت حجته الكبرى في ذلك هو عداؤهما الكبير للحياة، كما رأينا ذلك سابقا. "ويجب أن نؤكد دائما أن نيتشه يحارب الإله المسيحي باعتباره أساسا لحشد من القيم الخلقية التي تنتقص من قيمة الحياة الأرضية وتعكر صفو بهجتها، وتقف عائقا في سبيل ثرائها" (يسري إبراهيم، ص162).

ج-9- <u>الأخلاق المسيحية ضد الإنسان</u>: ينتهي نيتشه في نقده للأخلاق المسيحية إلى أن عدائها للحياة وللغرائز، أدى في الأخير إلى عدائها للإنسان نفسه، بحيث إن هذه الأخلاق تلغي الإنسان إلغاءً تاما، لأنها "تمنعه من تحقيق ذاته ورغباته بشكل كامل". (هجران عبد الإله الصالحي، ص 180) وذلك من خلال مختلف القيود التي تكبله بها، وتدفعه إلى الشعور بالذنب من غرائزه الطبيعية.

ج-10- <u>تحرير الفعل الإنساني من الإله</u>: بناء على ما تقدم يمكننا القول إن إعلان موت الإله من الناحية الأخلاقية هو بمثابة تحرير للإنسان في مجال الفعل (Action)، ويعني ذلك رد الاعتبار للإنسان ولكل ما هو إنساني، أي لبدنه ولغرائزه ولانفعالاته... لذلك جاءت نظرة نيتشه إلى الغرائز معاكسة تماما للنظرة المسيحية، بحيث كانت نظرة جد إيجابية، فقد منحها قيمة كبيرة في فلسفته الأخلاقية، ودعا إلى ضرورة الإعلاء من شأنها، وذلك بإطلاق العنان لها، ومن خلال ذلك فقط يستطيع الإنسان أن يتحرر وأن يكون سعيدا حقا. "والذي أراده نيتشه من هذا البيان تحرير غرائز الإنسان وإطلاق العنان لها، وتصريفها باستمرار بعدِّها الجانب الإيجابي في الإنسان... فحاول من أجل تحرير الغرائز تحطيم كل القيود التي تعرقل سير هذه الغرائز سواء كانت اجتماعية أو دينية، لأن هذه القوى ستسمو بالإنسان إلى مجتمع أعلى يعتمد على الإرادة وتحقيق الذات، لا على العقل والدين" (هجران عبد الإله الصالحي، ص 190). وأكبر العراقيل التي تقف في وجه الغرائز هو الدين، لذلك وجب القضاء عليه لتحريرها.

ج-11- <u>المذهب اللا أخلاقي لنيتشه</u>: لما كانت فلسفة الأخلاق عند نيشته مناقضة للأخلاق التقليدية عموما، وللأخلاق المسيحية خصوصا، فإنها سميت بالمذهب اللاأخلاقي (Immoralisme). والحقيقة إن نيتشه نفسه هو من أطلق على مذهبه الأخلاقي هذا الاسم بالذات، فهو يفتخر به ولا يتحرج منه البتة، وهو المذهب الذي لا يعترف بقيم الخير والشر التقليدية. "من خلال هذا الكتاب [**إرادة القوة**] أُعلن الحرب على الأخلاق، إنني أهاجم أولا وقبل كل شيء الأخلاقيين. تعرفون مسبقا الكلمة التي أعددتها لهذا الصراع، إنها كلمة **لا أخلاقي** (Immoraliste)، كما تعرفون أيضا عبارتي «ما وراء الخير والشر»" (Nietzsche, Liv II, §167, P130). لهذا فإن المعنى الأول والأساسي للفظ اللا أخلاقي هو اللا مسيحي. "يهاجم نيتشه مباشرة إذن التقليد الميتافيزيقي- الديني، ومن ثم فإن مذهبه اللاأخلاقي يستهدف بوجه خاص الأخلاق المسيحية" (Christine Daigle, 2000, p158).

ويبدو بذلك أنه مثلما كانت فلسفته في المعرفة مذهبا لا عقلانيا، كانت فلسفته في الأخلاق مذهبا لا أخلاقيا، وهذا ما يعكس بصدق عمق وجذرية ثورته على الفلسفة القديمة في كل مجالاتها. لأنه كان عدو الدين وعدو العقل وعدو الأخلاق أيضا. "مذهبه ليس فقط شكية أخلاقية، إنه دوغماتية مضادة للأخلاق: ومثلما كان نيتشه عدوا للمسيحية، وعدوا للمسيح، فإنه كان أو يعتقد أنه كان عدوا للأخلاق" (Alfred Fouillée, 1902, P53).

الخاتمة:

فكرة موت الإله فكرة جد مهمة في فلسفة نيتشه، فهي ركن أساسي فيها، لأنها شرط ضروري لتحققها واكتمالها، ويستحيل علينا فهم فلسفته والنفاذ إلى معانيها العميقة وغاياتها البعيدة من دونها. "يمثل موت الإله ضربة البداية في الفكر النيتشوي وشرط إمكانيته... من دونه سيكون فكر نيتشه مستحيلا وغير قابل للفهم" (Pascal Dorey Vézina, 2016, P97).

ومن المؤكد أن أول دلالات هذه الفكرة هي دلالات دينية تكمن أساسا في موت الإله المسيحي، ومعه العقائد المسيحية المختلفة، وبالنهاية موت الدين نفسه. لكننا لو وضعنا الدلالات الدينية لموت الإله جانبا، ودققنا البحث في دلالاته الفلسفية، سنكتشف عندئذ مدى أهمية وخطورة هذه الفكرة، وندرك أنها حجر الزاوية في الفلسفة النيتشوية، فهي تمكن نيتشه من تحقيق مشروعه الفلسفي الكبير وهو القلب الجذري لكل القيم، خاصة قلب الأنطولوجيا التقليدية، ونظرية المعرفة التقليدية، والأخلاق التقليدية. "كما يلاحظ أن الاتجاه السائد في فكره عدمي، بمعنى أنه يقوض كل المفاهيم والتصورات السابقة، فيقوض الأخلاق بتوضيح أساسها اللاأخلاقي، ويحطم العقلانية بتوضيح أساسها اللاعقلاني، ويلغي العالم الآخر الميتافيزيقي ليعبر عن مظاهره بصورة إنسانية" (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص364). وهذا ما يثبت العلاقة الوثيقة جدا بين مختلف دلالات موت الإله عند نيتشه ومشروعه الفلسفي، كما شرحنا ذلك بتفصيل طوال هذا المقال.

وبما أننا وصلنا الآن إلى الخاتمة، فيمكننا أن نستخلص فيها أنه مهما تعددت وتنوعت دلالات موت الإله عند نيتشه بين الدين والفلسفة، إلا أن هذه الدلالات تلتقي كلها عند غاية واحدة هي تحرير الإنسان كلية من الإله، "لذا طالب بتحرير الإنسان من الإله ومن كل المعتقدات المستندة إلى الإيمان به، وبضرورة التنكر له" (هجران عبد الإله الصالحي، ص 183). فنيتشه يدعو إلى قتل الإله لكي يحل الإنسان محله، وهو يقصد دائما وأبدا الإنسان الأعلى. "إن الهدف المتسق في فكر نيتشه يتمثل في العلو بالإنسان إلى مرتبة يمكنه من خلالها أن يحتل مكان الإله القديم" (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص356).

وبناء على كل ما قدمناه آنفا، نستطيع أن نثبت بطريقة قطعية العلاقة الوثيقة بين فكرة موت الإله والمشروع الفلسفي لنيتشه، حيث لا يمكنه قلب القيم إلا بموت الإله، لأن موت الإله هو بالضبط موت القيم القديمة، وهذا ما سيمكنه بعد ذلك من بناء القيم الجديدة التي يحلم بها. لأن نيتشه لا يريد موت القيم الدينية فحسب، بل والقيم المنطقية والأخلاقية والجمالية والسياسية...، لذلك كان لا بد لمعنى موت الإله ألا ينحصر في المجال الديني فقط، بل وأن يتعداه إلى كل المجالات الفلسفية.

ويجب أن يعوض الإنسان الأعلى الإله في كل المجالات دون استثناء. أولا في مجال الأنطولوجيا، بحيث إنه من الآن فصاعدا لن يكون الإله هو خالق الوجود، سواء تعلق الأمر بالعالم، أم بالإنسان نفسه، وذلك لكي يصبح الإنسان هو خالق الوجود، أي خالق العالم وخالق نفسه، وهو يخلقهما في هذا العالم المحسوس، وليس في عالم مفارق، لأن هذا الأخير هو وهم من اختراع عقل الإنسان. ثم في مجال المعرفة، حيث سيتوقف الإله عن كونه خالق الحقيقة، لكي يصبح الإنسان هو خالقها. إلا أنه لن يخلقها بالاستناد إلى عالم ميتافيزيقي مفارق، ولا بالاعتماد على العقل الخالص، وإنما بالرجوع إلى العالم الواقعي الذي يعيش فيه، وبالاعتماد على مبدأ النفع الحيوي، فتكون الحقائق حقائق عملية ونفعية، وليست نظرية مجردة. أخيرا سيخلف الإنسان الإله في مجال الأخلاق، إذ لن

تصدر القيم من الإله، بل من الإنسان نفسه، لأنه سيكون خالق جميع القيم، وانطلاقا من معيار واحد ووحيد هو إرادة القوة... "بعد موت الإله ورفض كل ما هو مفارق، سيوضع الإنسان كأساس مطلق، كواهب للمعنى، كخالق للعالم ولنفسه، وكخالق لقيمه، ومن ثم لأخلاقه. هذا المنعطف لديه بالضرورة نتائج مهمة". (Christine Daigle, P140) وهكذا سيصبح "الإنسان مقياس كل شيء". (Alfred Fouillée, P45) في هذا الوجود، مثلما كان الحال عند السفسطائيين قديما.
نرى إذن أن الدلالات الفلسفية لموت الإله تؤدي كلها إلى نتيجة واحدة، وهي رد الاعتبار للإنسان، بل وإعطائه المكانة التي يستحقها فعلا في هذا الوجود، وهي الألوهية. لذلك فإن عداء نيتشه للإله، إنما يعبر في الحقيقة عن انتصاره للإنسان ودفاعه المستميت عنه. "مما سبق يتضح لنا أن النقد الجذري للدين والأخلاق والفلسفة هو بمثابة دفاع عن الإنسان، من خلال هدم تصوراته... فالدفاع عن الإنسان فكرة أساسية لدى نيتشه" (صفاء عبد السلام علي جعفر، ص370).

التوصيات:

أهم التوصيات التي نتركها لزملائنا الباحثين من أساتذة وطلبة الدراسات العليا في نهاية هذا البحث، هو أن ندعوهم إلى تسليط الضوء أكثر على فكرة موت الإله في فلسفة نيتشه، نظرا إلى أهميتها، بل ومركزيتها في الفلسفة النيتشوية، وننبههم إلى أنها تتضمن الكثير من المعاني، والتي لو تتبعها أي باحث لكتب فيها كتابا ضخما، سيشمل فلسفة نيتشه بأسرها. وإذا كنا قد ركزنا في بحثنا هذا على دلالات موت الإله من الناحية الأنطولوجية والإبستيمولوجية والأخلاقية، فإننا لم نقل كل شيء، بل عرضنا الأفكار بصفة عامة، لأن سياق البحث لا يسمح بالتفصيل أكثر مما فعلنا، ويمكن لباقي الباحثين التعمق في هذه الأفكار أكثر، كما أننا لم نتطرق إلى دلالات موت الإله من الناحية السياسية والقانونية والفنية، بل والحضارية عموما، لهذا فإننا نترك لزملائنا الباحثين مهمة إكمال ما بدأناه في هذا المقال المتواضع.

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

1- نيتشه، **العلم الجذل**، 2001، ترجمة سعاد حرب، لبنان، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع.
2- Nietzsche (Frédéric), 1900, *La généalogie de la Morale*, Traduit par Henri Albert, Paris, Société de Mercvre de France, 3eme édition.
3- Nietzsche (Frédéric), *La Volonté de Puissance*, Essai d'une transmutation de toutes les valeurs. Traduit par Henri Albert. Version électronique.
4- Nietzsche (Frédéric), 2011, *Le Gai Savoir*, Traduit de l'allemand par Henri Albert, Edition électronique, Les Echos du Marquis.
5- Nietzsche (Frédéric), *Les Crépuscules des Idoles*, Traduction par Henri Albert, Version électronique.

II- المراجع:

1- باسيل (مشير عون)، 2003، **بين الفلسفة والدين. نظرات على الفكر الإلحادي الحديث**، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة1.
2- رجب (محمود)، 1986، **الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين**، القاهرة، دار المعارف، الطبعة2.
3- زكريا (فؤاد)، 1966، **نوابغ الفكر الغربي –نيتشه-** مصر، دار المعارف، الطبعة2.
4- سوفرين (بيار هيبر)، 2002، **زرادشت نيتشه**. ترجمة أسامة الحاج، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة2.
5- شتاينر (رودولف)، 1997، نيتشه **مكافحا ضد عصره**، ترجمة حسن صقر، دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، الطبعة1.
6- عبد السلام (علي جعفر صفاء)، 2010، **محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

7-عوض (رمسيس)، 1997، **ملحدون محدثون ومعاصرون**، بيروت- القاهرة، دار سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي الطبعة1.
8- قمير (يوحنا)، 1986، **نيتشه نبي المتفوق**، بيروت، دار المشرق.
9- هجران (عبد الإله الصالحي)، 2015، **الإنسان والاغتراب في فلسفة نيتشه**، سوريا، دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر، الطبعة1.
10- يسري (إبراهيم)، 2007، **فلسفة الأخلاق- فريديك نيتشه**، لبنان، دار التنوير للطباعة النشر والتوزيع.
11- Etienne Gilson, 1943, *Introduction à l'étude de Saint Augustin*, Paris, Librairie Philosophique J. Vrin, 2eme édition.
12- Alfred (Fouillée), 1888, *La Philosophie de Platon*, Tome 2, *Esthétique, Morale et Religion Platoniciennes*, Paris Librairie Hachette et Cie.
13- Alfred (Fouillée), 1888, *La Philosophie de Platon*, Tome 3, *Histoire du Platonisme et de ses Rapports avec le Christianisme*, Paris Librairie Hachette et Cie.
14- Alfred (Fouillée), 1902, *Nietzsche et l'immoralisme*, Paris, Félix Alcan Editeur.
15- Heidegger (Martin), 1962, *Chemins qui ne mènent nulle part*, Traduit par Wolfgang Brokrmeier, par Version électronique, France, Gallimard.
16- Régis (Jolivet), 1932, *Saint Augustin et le Néo- Platonisme Chrétien*, Paris, Les Edition Denoël et Steele,

III- قائمة الرسائل الجامعية:

1- Chaput (Emmanuel), Avril 2015, *Ludwig Feuerbach, Penseur de la mort de Dieu*, Mémoire présentée à la faculté des arts et des sciences en vue d'obtention du grade de maitrise en philosophie, Université de Montréal, Canada.
2- Daigle (Christine), Aout 2000, *Le nihilisme est- il un humanisme*? *Etude sur Nietzsche et Sartre*, Thèse présentée à la faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de philosophiæ Doctor (Ph.D.) en philosophie, Université de Montréal. Département de philosophie, Faculté des arts et des sciences.
3- Pascal (Dorey Vézinz), Aout 2000, *La question de la fondation et du législateur, le cas de Nietzsche*, Thèse de Doctorat en sciences politiques présentée à l'Université de Montréal, Canada.
4- Larivière (Jean), 2007, *L'Analyse Du Nihilisme Chez Nietzsche*, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures de l'Université Laval dans le cadre du programme de maîtrise en philosophie pour l'obtention du grade de maître ès arts (M. A.) Faculté de Philosophie, Université Laval, Québec.
5- Rhéaume (Marilie), 2017, *La Critique nietzschéenne de la métaphysique platonicienne*, Mémoire de Maîtrise en Philosophie, Université Laval, Québec, Canada.